هل البقاء لمدة خمس وعشرين سنة في مكان ما يمنحنا الحق التاريخي لملكية هـذا المكان ؟. والا فما هي المقاييس التي يتقرر بموجبها الحق التاريخي على مستوطنة ما ؟».

كانت قوة الردع الاسرائيلية قد ردعت العقلية الاسرائيلية العادية على طرح مثل هذه الاسئلة ، وكان الاحتكام الى الحق الذي تخلقه القوة هو الاجابة الجاهزة لانهـا « لم تخطىء محاكمتها » . وكان مصطلح « لا خيار » ، الـذي استخدمته السلطـة الاسرائيلية قبل كل حرب ، شائع المفعول بشكل يعفي العقل من حركته . وأهم من ذلك: كان الذهاب الى الحروب السابقة ذهابا الى الحل المؤقت لمشاكل اسرائيل الداخلية . وعشية حرب تشرين اعلن رئيس اركان الجيش الاسرائيلي أنه اذا اندلعت حرب جديدة، فستكون « حرب الحساب مع العرب » . ولم يخطر ببال الاسرائيليين أنها ستكون حرب حساب الاسرائيلي مع مؤسسته العسكرية والسياسية ، ومع فكرته التي حارب تحت لوائها دون أن يناقشها .

وان مناقشة الفكرة الصهيونية ، كما نرى من اسئلة الطلبة وبعض الجنود ، قد ارتقت الى درجة الشك بشرعية الوجود الاسرائيلي « والحق اليهودي » على أرض فلسطين ، وهي الحلقة الجوهرية في أزمة الثقة وفي الازمة الروحية .

وكان المكاتب بوعز عفرون أجرأ من اقتحم المحراب الصهيوني في مناقشة الطريقة التي تطرح بها الصهيونية حقها على فلسطين ، وتشر كل الدعاوي الصهيونية الكلاسيكية واحدة واحدة . ولاحظ ان الشك بشرعية اسرائيل جاء في الذكرى السادسة والعشرين لتأسيسها ، ولكنه « رافق المشروع منذ البداية » . ونفى في مقاله المنشور في صحيفة « يديعوت أحرونوت » [٧٤/٤/٢٤] أن تكون أسباب الشكوك بالشرعية الاسرائيلية ناتجة عن نقص في التثقيف . وقال ان مثل هذه الشكوك ما كانت لتثور ، منذ البداية، لو ان فلسطين كانت كما صورها الصهاينة الاوربيون الاوائل بأنها « أرض بلا شعب لشعب بلا أرض » .

ومع ذلك ، فان الكثيرين من الصهيونيين قد خدعوا أنفسهم بأن هذه الارض خالية من السكان « ولكن كل خطوة خطوها في البلاد اصطدمت بواقع ان تلك الفرضية كانت وهما » . وكل مبنى الاستيطان العبري قد صمم وفقا لواقع الصدام مع العرب . وهذا ما حدث : ان شعبا محبا للسلام ولا يحب العنف بطبيعته ، قد تحول الى واحد من اكثر الامم عسكرية في العالم ، لان هذه البلاد لم تكن بدون شعب . وحدث أيضا أنه بعد كل صدام عبري عنيف وموجع مع الشعب الذي سكن هذه البلاد قبله ، ومع اخوته الذين يحيطون به ، ثار الشك في قلوب الشباب وغير الشباب بمدى شرعية كياننا هنا » .

يصطاد بوعز عفرون جوهر المسألة الذي يتجاهله كثير من المفكرين الاسرائيليين في معالجتهم أزمة الشك بالفكرة الصهيونية لدى شباب اسرائيليين ، وهو دور صراع الحق العربي في بعث هذا الشك ، وصعوبة انضباط التطبيق الصهيوني ومحاولة السلام في معادلة واحدة .

ان غياب العربي من الحلم الصهيوني ، وحضوره المقاتل خلال محاولة تطبيق هذا الحلم هما اللذان تتمحور حولهما المشكلة ، وان هذه المسافة الشاسـعة بين الحلم الصهيوني والوجود العربي هي التي أولدت أفدح ما يواجه القضية اليهودية من مخاطر، ونقلت اليهودي الذي عوض عن « ضياعه في المكان » ابداعا في الزمان ، من مكانه المسالم الى مكانه العدواني ، وصرف طاقاته في تشكيل شخصية جديدة في عصر انحسار مثل هذه الشخصية الاسبارطية عن مسرح صراع الجدارات في هذا الزمن . « لقد